الفناء عند المسلمين

تأليف

الأستاذ الدكتور

شوقي بشير عبد المجيد

دار الألباب


بسم الله الرحمن الرحيم



الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م

لبنـــان : **بيروت** ، كورنيش المزرعة ، ص .ب : (١٤/٥٧٦٥)

سورية : **دمشق** ، حلبوني ، ص ب: (٣٠٠١٩) ، برقيا(الألباب)

س . ت (٥٧١١٠) - هاتف (٢٢٣٩٨٢٠)

فاكس : (٢٢٤٣٧٥٤)

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ،

فإن الذي دعاني لكتابة هذا الكتاب هو أهمية البحث في هذا المصطلح (الفناء) الذي يطلق عليه بعض المتأخرين الأحكام العامة، فالفناء - عندهم - أشنع ما ذهب إليه الصوفية. وهذا المصطلح (الفناء) من المصطلحات التي دار حولها صراع طويل في السنوات الأخيرة، وقد كان علماء الصوفية طرفاً في هذا الصراع، وكان بعض المتأخرين من أنصار السنة المحمدية يمثلون الطرف الآخر، وبين الطرفين جماعة على علم ودراية بهذه المصطلحات .

والحق أننا إذا أستعرضنا هذا المصطلح سنجد أنه يحمل عدة معان، وقد كان هدفاً للباطنية والقائلين بوحدة الوجود المادية التي تجعل الحق سبحانه وتعالى مادة الأشياء، وحاولوا إعطاءه معنى يتفق مع نزعتهم الباطنية أو الفلسفية أو الإلحادية. فلا بد من بيان المعنى الحقيقي لهذا المصطلح (الفناء) حتى نبتعد عن إصدار الأحكام العامة الرامية إلى الإساءة لجماعات إسلامية بعينها، والساعية إلى استبعاد مصطلحاتها من المصطلحات الفكرية الإسلامية .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في أربعة فصول، تسبقها مقدمة وتمهيد، وتقفوها خاتمة وملاحق وفهارس .

وقد تناولت في التمهيد تعريف المصطلحات المستخدمة في الكتاب حتى لا يتبادر إلى الذهن معنى مخالف للمعنى المراد منها، والمصطلحات هي: الفناء، السكر، الوجد، الصحو، البقاء، الشطح، الجمع والتفرقة .

وجاء الفصل الأول تحت عنوان "الفناء عند مؤرخي التصوف" وتضمن المباحث التالية :

١- المبحث الأول: الفناء عند القشيري .
٢- المبحث الثاني: الفناء عند الهروي .
٣- المبحث الثالث: الفناء عند الغزالي .
٤- المبحث الرابع: الفناء والبقاء عند الكلاباذي .
٥- المبحث الخامس: الفناء عند الهجويري .
٦- المبحث السادس: الفناء عند العطار .
٧- المبحث السابع: الفناء عند الخركوشي .

وأما الفصل الثاني فقد خصصته للفناء عند الصوفية وتضمن المباحث التالية :

تمهيد، والفناء عند الجنيد بن محمد سيد الطائفة الصوفية، والفناء عند الحارث بن أسد المحاسبي، الذي تنسب إليه الطريقة المحاسبية، والفناء عند أبي حفص عمر بن سالم النيسابوري، والفناء عند أبي سعيد الخراز الذي تنسب إليه الطريقة الخرازية، والفناء عند الجيلاني، والشقاني، وابن عربي، وغيرهم .

وجاء الفصل الثالث عن أنواع الفناء. والرابع عن الفناء عند السلف والأباضية وعدد من أساتذة الفلسفة الإسلامية .

وقد تناولت في فصول الكتاب بالرصد المقارن كلام عدد من أئمة التصوف، وكلام عدد من أئمة السلف، وبعض أنصار السنة المتأخرين، وكلام عدد من أساتذة الفلسفة الإسلامية المعاصرين، حتى يظهر لنا جلياً المصادر والمراجع التي يمكن الاعتماد عليها في هذا الباب، وحتى نكون على معرفة بأرض المعركة الحقيقية، المعركة بين مدلولات المصطلحات الإسلامية ومدلولات غيرها، المعركة بين الحق والباطل، وليس صراع مصطلحات لمجرد أنها مصطلحات جديدة لم تكن موجودة في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، أو في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، أو التابعين لهم بإحسان. ولقد انتهيت بخاتمة بينت الموقف الصحيح الذي التزمه السلف في حياتهم عن الفناء والذي يتعين أن نسير فيه على فهمهم بعيداً عن أي نزعة للتزمت أو التعصب .

ولا يسعني بعد أن أنجزت هذا البحث إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور كمال عبيد مدير إدارة الدعوة بجامعة أفريقيا العالمية بالسودان ورئيس تحرير مجلة "دراسات دعوية" المجلة المحكمة التي نشرت جزءاً من هذه الدراسة بعد تحكيمها، ولمجلة القسطاس المحكمة التي نشرت جزءاً من هذه الرسالة "الفناء عن شهود السوى وما يحث فيه من شطحات" بعد تحكيمها أيضاً، وقبل أن أكتبها بهذه الصورة التي أكثرت فيها من النصوص والاستدلالات، فقد أكثرت من النصوص في هذا الكتاب، خاصة كلام ابن تيمية في الفناء، وكتاب الجنيد عن الفناء الذي نقله لنا الدكتور محمد كمال، وما قاله الجيلاني عن الفناء بأنواعه من كتابي عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وهدفي من ذلك عرض الموقف بالأدلة والبراهين، فكثير من المسلمين يظن أن ابن تيمية لم يتكلم عن الفناء، ولم يكتب عن الصوفية إلا رسالته الصوفية والفقراء، وأن ابن القيم لم يشرح منازل السائرين ولم يكتب مدارج السالكين، فالكتاب - في رأيهم - مدسوس عليه، والجيلاني لم يتكلم عن أي نوع من أنواع الفناء، والجنيد ليس له سوى أقوال متفرقة في التصوف ضمها كتابه "رسائل الجنيد في التصوف والأخلاق"

الذي حققه الأستاذ الدكتور عبدالحليم محمود رحمه الله. وأن البسطامي هو الوحيد الذي خاض في هذه المسألة، وقد تكون لأبي سعدي الخراز وذي النون المصري أقوال فيها .

وقد ذكرت في ملاحق هذا الكتاب رأي الشاطبي في أصحاب الأحوال، والشاطبي إمام سلفي مالكي، وكان من الممكن أن أضعه في مبحث "موقف السلف من الفناء" ولكنني حرصت أن أكتفي في هذا المبحث بإمامين من أئمة الحنابلة هما ابن تيمية وابن القيم، حتى تكون المقارنة واضحة والصورة بينة وحتى نستطيع الإجابة بوضوح: هل سار المعاصرون على درب سلفهم الذين يعتمدون عليهم في فهم النصوص أم لا ؟ .

أسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، فهو الموفق إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين .

بروفيسور شوقي بشير عبدالمجيد
العين
الإمارات العربية المتحدة
فبراير ٢٠٠١م